باب

فى ذكر أنباء سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

أما أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى فقيل إن الموحدين أعزهم الله تعالى قتلوا ابرهيم بن تاعياشت فى غزوة أثارها ، وكانت الدبرة عليه . وكبابه فرسه فقتل . وهو ابراهيم بن يوسف الزرجانى [1] [وللمؤرخين] [2] المعتنين بهذا الشأن اختلاف في [ميقات] [2] ذلك وكيفيته ، * وهذا أشبه ما [رأيته في ذلك] [2] . [74 ب]

أخبار غيرهم :

فيها عزل علي بن يوسف الزرجاني أبا عبد الله ابن أصبغ [3] عن القضاء بقرطبة ، وولى أبا عبد الله محمد بن [الحاج [4]] قضاءها ؛ وولى على قضاء إشبيلية أبا بكر ابن العربي [5] ؛ وشرع فى بناء سور إشبيلية من جهة الوادي بأمر علي بن يوسف [6] .

---

1) سبق أن عرفنا بابن تاعياشت (أو تعيشت) هذا تعريفا وافيا (راجع ص 130 ، حاشية 2) .

2) كلمات غير واضحة في الأصل .

3) انظر ما سلف أن كتبناه عن القاضي ابن أصبغ المعروف باسم ابن المناصف عند إيراد ابن القطان خبر ولايته على قضاء قرطبة (ص 150 ، حاشية 2) .

4) مكان هذه الكلمة بياض فى الأصل ، وقد استكملناها بفضل ما تدل عليه المراجع الأخرى ، وابن الحاج هذا هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن ابراهيم بن لب بن بيطير التجيبي ، ولد سنة 458 ، وكان من جلة العلماء والمحدثين رأسا فى الشورى ، وكان له مجلس بالمسجد الجامع بقرطبة ، وتقلد قضاء الجماعة في هذه القاعدة مرتين ، ولم يزل متوليا للقضاء للمرة الثانية حتى قتل وهو ساجد لاربع بقين من صفر سنة 529 ، وسيذكر ابن القطان نبأ اغتياله بعد قليل (انظر في ترجمته ابن بشكوال : الصلة ، رقم 1278 ، والنباهى : المرقبة العليا ص 102) .

5) سبق أن عرفنا بأبى بكر ابن العربى الإشبيلى (راجع ص 71 حاشية 3) .

6) وافانا ابن عذارى بتفصيل عظيم القيمة عن الإصلاحات والترميمات الكثيرة التي اضطلع بها المرابطون فى أسوار قواعد الأندلس ولا سيما غرناطة وقرطبة وإشبيلية والمرية ابتداء من سنة 520 ، ويبدو أن الفضل فى هذه الأعمال كان يرجع إلى النصيحة التى أسداها الفقيه ابن رشد القرطبي لعلي بن يوسف =

وفي هذه السنة نازل ابن رذمير إفراغة [1] ، وحاصرها ، وهزم ابن رذمير لعنه الله تعالى وقتل رجاله ، ثم مات هو على أثر ذلك .

وفى هذه السنة [2] فنادق قرطبة حتى كان [3] .

وأكلت الجراد ما كان على الأرض من [زرع وكلأ [4]] .

* * *

= (انظر تفصيل الأخبار الخاصة بذلك فى القسم المرابطي من البيان ص 73 - 74 ، والترجمة الإسبانية لتلك النصوص في مقال الأستاذ أويثي : علي بن يوسف ص 101) .

1) سيعود ابن القطان للحديث بالتفصيل عن موقعة إفراغة فى أخبار سنة 529 ، والصحيح أن تاريخ هذه المعركة فى سنة 528 كما ذكر المؤلف هنا لا كما ينقل بعد عن الوراق .

2) قطع فى الأصل بقدر كلمة .

3) قطع بقدر كلمتين أو ثلاث .

4) كلمتان غير واضحتين فى الأصل لطمس وقطوع ، ولعلها كما أثبتنا .

باب

فى ذكر أنباء سنة تسع وعشرين وخمسمائة

فى هذه السنة كان الإعلان بموت الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه [1] . والإعلان ببيعة سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين ، فرفع الغطاء ، وسطع الضياء ، وبهرت الشمس ما دونها من السحاب ، وتبلج الحق واضحا بغير حجاب ، وكملت السُّنَّة ، وهملت المنة ، وخلص العدل من محاقه ، ودام الفضل فى اتساقه ، ..... [2] .....

.....

[75 أ] « نبايعك على ما بايعنا الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه !

فمد يده فبايعوه ، واتصلت البيعة ثلاثة أيام [3] ، فأشرقت الأرض بنور إمامته ، ونال أهلها عظيم حظوته وكرامته ، ولاحت غرر الفتوح زاهرة ، وأقبلت المسرات متتابعة متواترة ، والحمد لله رب العالمين .

---

1) أشرنا من قبل إلى اختلاف المؤرخين حول تاريخ الإعلان بموت المهدي وبيعة عبد المؤمن (راجع ص 204 ، حاشية 1) .

2) ينقطع النص هنا لخرم وقع فيه ، ولننقل في هذا الموضع عن كتاب أخبار المهدي للبيذق (ص 85) نصه عن بيعة عبد المؤمن ففيه إكمال لما ذهب هنا من خبر ذلك ، وقد جعل البيذق ذلك بعد غزوة عبد المؤمن بجزولة ورجوعه إلى تينملل :

« وصاح بالقبائل ، وضم الموحدين ، وحفل (في الأصل : وجعل) المجلس ، فاستعمل ركائز ، وحال بين الرجال والنساء ، ثم وعظ الناس ، وقال لهم فى آخر كلامه : بقى عندكم عهد بيعة المهدي (رضه) ، قالوا : نعم . فقعد ، ثم وعظ أبو إبراهيم ، ثم وعظ عمر آصناج ، ثم سائر المشيخة رضي الله عنهم أجمعين . ثم قال لهم : المهدي قد توفى رضى الله عنه ، فبكى الناس ، ثم قال لهم : اسكتوا . فسكتوا . فقال أبو إبراهيم وعمر آصناج وعبد الرحمن بن زجو ومحمد بن محمد لعبد المؤمن : امدد يمينك نبايعك ... الخ » .

3) كذا ذكر البيذق أيضا (انظر الموضع المشار إليه في الحاشية السابقة) وكتاب أويثي : تاريخ 1/109 - 110 .

وصارت حصون الفلاكي كلها لهم ، وصار الفلاكي يغير على جهات السوس وجهات أغمات والموحدون فى كل يوم تنمى أحوالهم ، وتزيد عساكرهم ورجالهم ، وزاد فيهم صنهاجة الجبل وهسكورة الجبل ، ودخلوا تارودانت وإيجلي ، وهما مدينتان من السوس الأقصى .

وذكر ابن الراعي رسالة سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنهم التي يذكر فيها دخول تارودانت ، فرأيت إثباتها هنا ، ليتبين منها كيفية فتح السوس :

« وذلك أن فيها فتح السوس وأن الموحدين أعزهم الله تعالى لما استولوا على بلاد السوس من أوله إلى آخره ، من فوقه إلى أسفله ، فقتل أهله ، وانجلى من لم يقتل منهزمين إلى كل أفق مما حواليه من هنكيسة وجزولة ، وبعضهم قد انحصر مع الملثمين بتيونوين ، فكان آخر هزائمهم التي هزمهم الموحدون أعزهم الله تعالى فيها هي الهزيمة التي قتل فيها توجين [1] ؛ ثم قنطوا من سوس ويئسوا منه ، فانقبضوا بتيونوين فى ذل وخزى ورعب ، لا يستطيعون حيلة ، ولا يقدرون على حركتهم ، والحمد لله الذي أظهر ضعفهم ، وأخذهم بسوء فعلهم .

ولما بلغوا هذا المبلغ زادهم الله تعالى استدراجا ومكرا ، فقام المخذول العلج « الأعرج [2] من أجر فرجان ، فاقتحم بنفسه فى طريق إيغيران تطوف فى حال غفلة من الموحدين أعزهم الله تعالى الذين عليها [3] حتى جاز عليهم . ولم يشعروا به حتى فاتهم بمن معه هاربين ، فاتبعهم الموحدون حتى وصلوا إلى بلاد السوس ، ولاشك فى أن الله تعالى قد علم في ذلك خيرا ، إذ هو المدبر لهذه الأمور ، ولم يكلها إلينا ، والحمد لله رب العالمين .

---

1) لم يرد ذكر لهذا القائد المرابطي في أي مرجع آخر .

2) يبدو أنه يعني به القائد المعروف « الريرتير El Reverter » الذي تكرر ذكره فيما سبق ، كما يقول أويثي في تاريخه (1/112) .

3) في الأصل : عليهم .

ولم يصل العلج إلا بنحو أربعمائة برذون ، فلما وصل إلى تيونوين تسامع به من فر إلى الأطراف من بقية أهل سوس ، فكان هو معبودهم ومُتَّبَعَهم ، فاتكلوا عليه ونسوا ربهم ، وجهلوا أمر الله تعالى ، واغتروا بقدومه ، فرجعوا إلى أوطانهم . وحسبوا أنه يمنعهم من بأس الله مع أنهم لم يجدوا فى الدنيا مهرباً ولا ملجأ ، فبادروا إلى النزول فى بلادهم ، فميزنا عسكرا مباركا من خيل ورجل ، فخرجوا إلى ناحية تارودانت ، وبعثنا تلك الليلة سرية إلى أسفل السوس ، فوجدوا بلاد المجسم معمورة قد سكنوا بأهاليهم ومواشيهم ، فقتلوهم وغنموا أموالهم بقرا وغنما ودواب [1] وعبيدا ، وسبوا ذراريهم وأهاليهم ، ورجعوا سالمين غانمين . ثم بعثنا سرية أخرى فى الليلة التى تليها إلى بقية تلك الناحية ، أعنى أسفل السوس ، فقتلوا مقتلة أكثر من الأولى ، وغنموا أكثر مما غنم [2] أصحابهم .

[76 أ] وأما العسكر فقصدوا إلى تارودانت حتى دخلوها ، فوجدوا البقية * التي رجعت إليها هاربين قد بعث إليهم الملثمون المحصورون بتيونوين حين عاينوا عسكر الموحدين أعزهم الله تعالى قد أقبل إليهم فقالوا لهم : انجوا بأنفسكم ! قد غشيكم عسكر الموحدين أعزهم الله تعالى ، فهربوا إلا بعض من كان فى أطراف البلد مثل تاجندويت ورقالة ، فقتل الموحدون من وجدوا .

ثم نزل الموحدون فى وسط تارودانت ، واستقروا بها ساكنين وهزموها وحرقوها وأطلقوا النار فى القصب ، إذ لا يقدر عليه من كثرته إلا بالنار ، ونحن ننظر [3] إلى الدخان قد علا وارتفع فى الهواء [4] ، وتألف فصار كالسحاب المتراكم ، والكفرة بتيونوين لا يقدرون على أكثر من النظر إلى الدخان والنيران تضرم فى منازلهم وأوطانهم ، وهم مع العلج لم يزدادوا بقدومه عليهم إلا شدة هول وحصار

1) في الأصل : ودوابا .
2) في الأصل : غنموا .
3) في الأصل : ننظروا .
4) فى الأصل : الهوى .

وخوف وجوع ، ولما أيقن البربر وغيرهم بعجز العلج انكسرت قلوبهم ، واستمرت الهزيمة عليهم ؛ والحمد لله الذي أخذهم بذنوبهم ، وانتقم منهم بحربهم » [1]

ومما كان فى هذا العام حركة الخليفة رضي الله تعالى عنه إلى بني بيغز [2] ، وسببها أنهم قتلوا أبا محمد عبد العزيز الغيغائي [3] من أصحاب الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، كان توجه داعية لهم ، فغدروه وقتلوه ؛ وتحرك سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه إلى أشفشد من بلد بني بيغز [4] سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

فلما نزلت المحلة هنالك أخذت بنوبيغز [5] حزم الحطب ، فربطوها على ظهور الجمال ، وأضرموا فيها النار ليلا . وأطلقوا الجمال في المحلة ، فنفر الناس ، وصارت بنوبيغز [5] إثر جمالهم حتى وصلوا إلى خباء سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه ، وجللوها بالرماح ، وكان سيدنا ومولانا الخليفة * رضي الله تعالى عنه قد أخذ بالحزم ليلتين ، فحاد عن خبائه المعروف له ، وأخفى موضع مبيته احتياطا ، فسلمه الله تعالى ، وله الحمد كثيرا [6] .

1) ينفرد ابن القطان بتفصيل هذه الأخبار دون غيره من مؤرخي الدولة الموحدية . وانظر أويني : تاريخ 110/1 - 113 .
2) فى الأصل : بيغز ، وبنو بيغز بطن من هنتاتة على ما يذكر صاحب كتاب المقتبس (أخبار المهدي ص 41) .
3) فى الأصل : الغيغادي ، وهو أبو محمد عبد العزيز بن عبد الله الغيغائي الذي سبق لابن القطان أن ذكره من بين طبقة أهل الدار من طبقات الموحدين (انظر ص 87) وقد ذكره أيضا صاحب كتاب المقتبس فاعتبره مرة من أهل الدار ومرة أخرى من أهل الجماعة (أخبار المهدي ص 29 ، 33) .
4) فى الأصل : يعز .
5) فى الأصل : يعز .
6) لعل هذا الخبر الذي يرويه ابن القطان هنا في واقعية وإيجاز ودقة هو الذي نسج حوله بعض المؤرخين المتأخرين أسطورة من أساطير البطولة نراها مروية بشكل متباين لدى عبد الواحد المراكشي وابن أبي زرع . أما الأول فإنه يذكر أن قوما من قرابة محمد بن تومرت تآمروا على أن يدخلوا على عبد المؤمن خباءه ليلا فيقتلوه ، فإذا فعلوا أصبح الأمر لهم ، فعلم بذلك أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى الهزرجي ، فسأل عبد المؤمن أن يدعه يبيت تلك الليلة في خبائه ، فأجابه عبد المؤمن إلى ذلك ، ودخل أولئك القوم =

ومن تلك الليلة رتبت ساقة تيطاف للمبيت في الليل إيهيتيجمي [1] وكانت ملحمة عظيمة ، وأخذ رجلان من بني يبغز فى خباء سيدنا ومولانا الخليفة الإمام رضي الله تعالى عنه . فقيل لهما [2] عند الصباح : ما كان غرضكما [3] ؟ فقالا : قتل الخليفة . فأمر بقتلهما ، وتراجع الناس . ومكث سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه هنالك أربعين يوما ، ثم رجع إلى تينملل .

* * *

= وتولوا النائم بالحديد حتى مات وكانوا يظنونه عبد المؤمن ، فلما أصبحوا وعلموا بالأمر فروا إلى مراكش ، أما عبد المؤمن فإنه لما علم بالخبر أعظمه ووجد على أبى ابراهيم وجدا شديدا (انظر المعجب ص 303 - 304) ؛ أما ابن أبى زرع فإنه يقول إنه لما طالت بالموحدين الاقامة بالمشرق (أثناء غزوة إفريقية) والتغرب عن أولادهم عزمت طائفة منهم فى سنه 555 على قتل عبد المؤمن والفتك به فى خبائه إذا نام ، فعلم بذلك احد المخلصين للخليفة فأخبره بالخبر وطلب منه أن يبيت بخبائه تلك الليلة ويفديه من الموت ، ففعل واستشهد الرجل ، فلما أصبح عبد المؤمن بنى قريبا من موضع مصرعه قبة وجامعا ثم أمر ببناء مدينة حول المسجد ، وهي المدينة التي أصبحت تحمل بعد ذلك اسم « البطحاء » (روض القرطاس 199 - 200) . وانظر عن هذه الأسطورة كذلك بحث الأستاذ أويثي عن « الأسطورة والتاريخ في نشأة الدولة الموحدية » في كتاب تاريخ الدولة الموحدية 606/2 - 608) .

1) كذا في الأصل ، ولم نهتد إلى وجه في تأويلها .
2) فى الأصل : لهم .
3) فى الأصل : غرضكم .

أخبار الأندلس [1] فى هذه السنة :

فيها وُثِبَ على قاضي قرطبة أبي عبد الله بن الحاج فى المسجد الجامع في صلاة الجمعة فى السجدة الأولى من الركعة الأولى وهو ساجد فقتل واحتمل في نعش بدمائه ، فمات فى داره عشي ذلك اليوم الذي هو يوم الجمعة لخمس بقين من صفر [2] ، وقتل قاتله في الحين في صحن الجامع [3] .

وخرج تاشفين الزرجاني وهو صاحب قرطبة لخيل ظهرت وأغارت ، واستنفر الناس ، فخرجوا وأوعبوا ، وخرجت عساكر إشبيلية ويابرة . [4] واجتمع عليهم بشر كثير . فنزل المسلمون فى موضع يعرف بالبكار [5] ليكون اللقاء [فى] [6] يوم آخر ، فعاجلتهم خيل النصارى وهجمت عليهم بالليل ، فتخلخلت المحلة . وخاف [7] الناس وتخاذلوا ، فقتل من المسلمين ناس كثير ، ونهبت أسبابهم وأمتعتهم ، وفر المسلمون تحت ظلام الليل على وجوههم ، وقصد النصارى نحو خباء تاشفين ، فكانت للمسلمين هنالك جولة ، ثم ثبت النفر اليسير ، وأصيب من النصارى هنالك زعيم منهم ، وصد الله تعالى بلطفه النصارى ، ونكصوا على أعقابهم ، * وأصبح [8] تاشفين في موضع محلته ،

1) فى الأصل : الموحدين ، وقد أصلحناها بما يتفق مع السياق .
2) فى الأصل : سفر .
3) انظر تعليقنا السابق (ص 234 حاشية 4) .
4) في الأصل : وتابرة ، والصواب ما أثبتنا ، ويابرة (وتكتب أيضا « يابورة ») هي التي تسمى الآن Evora في البرتغال .
5) في الأصل : بالنكار ، ويكتب أيضا « فحص البكار » ، وهو الموضع الذي يسمى الآن Albacar على بعد 20 كيلومترا إلى الشمال من قرطبة .
6) إضافة يقتضيها السياق .
7) فى الأصل : وخاض .
8) فى الأصل : وأصلح .

فثاب الناس إليه ، وأقبلوا عليه ، وأخذ بهم في الانصراف إلى حصن قصرش [1] من حصون المسلمين ، ثم رجع بالناس إلى قرطبة ، وتفرقت العساكر ، ورجعت النصارى بغنائمهم إلى بلادهم [2] .

ومحت الجراد ما على الأرض من زرع وكلأ ، وأمر الناس بالخروج إليها ، فساقوا منها خمسة آلاف عدل وثلاثمائة وثلاثين عدلا . وما غاب عن العيون أكثر تركت فى الموضع الذي قتلت فيه ولم تحمل [3] .

---

1) بالإسبانية الآن Càceres

2) أشار أيضا إلى تلك الغزوة ابن الخطيب فى ترجمته لتاشفين فى كتاب الإحاطة نقلا عن أبى بكر الصيرفى (مخطوطة مكتبة الجزائر التى أشرنا إليها من قبل ، ورقة 107 على ما يذكر كوديرا فى بحثه عن أسرة بني تاشفين ص 137 - 138 ؛ ولم يرد هذا النص فى طبعة محب الدين الخطيب ولا طبعة الأستاذ محمد عبد الله عنان لكتاب الإحاطة) . ويقول ابن الخطيب فى ذلك النص إن جيوش تاشفين فوجئت بمهاجمة الجيوش المسيحية ، فتفرق عنه أصحابه ولم يبق هو إلا في عدد قليل لا يتجاوز أربعين رجلا ، إلا أنه ثبت فى هذه المعركة ثباتا منحه الله فيه النصر ، وابن الخطيب يحدد مكان هذه الموقعة بفحص البكار ولكنه لا يحدد تاريخها . ويضيف كوديرا في تعليقه عليها أن « حوليات ألفونسو السابع » تشير إليها أيضا ، فتقول إن تاشفين خرج من قرطبة ومعه الزبير بن عمر أمير قرطبة (ويطلق عليه المرجع المسيحي اسم Azubel) وقائد آخر تسميه Abenzeta أمير إشبيلية مع غيرهم من زعماء المسلمين في جيش ضخم متوجهين لمغاورة طليطلة ، فلما بلغ جيش المسلمين إلى اليسانة Lucena خرج إليهم ألف من فرسان أبلة Avila وشقوبية Segovia وعدد كبير من الرجالة ، وهم متوجهون للإغارة على بسائط قرطبة ففاجأوا معسكر تاشفين ، وأخذ المسلمين على غرة ، فوقع الاضطراب في صفوفهم ، ثم عاد فريق من المسلمين فالتفوا بتاشفين وذبوا عنه ذبا شديدا ، واشتد وطيس المعركة ، فجرح تاشفين ، واضطر إلى الهرب على فرس بغير ركاب وقد أصيبت ساقه ، فبقى بعدها أعرج بقية حياته . هذا هو مجمل ما يقوله المرجع المسيحي حول تلك المعركة ، ومن الواضح أن الخبر على هذه الصورة فيه من المبالغة وسعة الخيال الشيء الكثير ، إذ أننا نرى من وصف ابن القطان للموقعة – وهو مؤرخ متحامل على المرابطين متصيد لأخبار هزائمهم – أن تاشفين لم يفر من ميدان المعترك ولم يصب تلك الإصابة التي يتمدح بها المصدر المسيحي ، على أن الخبر إذا عرى من تلك المبالغات يتفق في جملته مع ما يذكره ابن الخطيب وابن القطان هنا (انظر بحث كوديرا المذكور ص 136 - 137) .

3) إلى ابن القطان يرجع الفضل في امدادنا بهذه الأخبار حول فتك الجراد بحقول الأندلس فيما بين سنتي 527 و 531 ، ويبدو أن تلك الأضرار قد أصبحت من مشاغل الحكومة المرابطية التي وجهت =

وقتل يهودي مسلما ، فاستطال المسلمون على اليهود ، فنهبت أموالهم ، وهدمت ديارهم ، وذلك بقرطبة .

وبقيت قرطبة أشهراً دون قاض ، ثم وليها أبو جعفر حمدين بن حمدين [1]

قال الوراق :

ومن أغرب ما كان فى سنة تسع وعشرين [2] هزيمة الطاغية

= إليها اهتماما خاصا ، كما نرى في الرسالة التي كتبها عن علي بن يوسف الكاتب الأندلسي أبو بكر ابن القبطورنه « بعض على قتل الجراد » ، وقد نشرنا هذه الرسالة فى جملة ما نشرناه من الرسائل المرابطية (انظر بحثنا « وثائق تاريخية جديدة .. » ص 164 ، 186 - 188) .

1) هو أبو جعفر حمدين بن محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي القرطبي ، أصله من باغه من عمل غرناطة ، ولى قضاء الجماعة في قرطبة في شعبان سنة 529 ، وذلك بعد الفترة التي أعقبت اغتيال أبى عبد الله بن الحاج الذي قتل فى المسجد الجامع فى صفر من هذه السنة على ما سبق أن أورد ابن القطان وغيره من المؤرخين ، أي بعد أن بقيت قرطبة من غير قاض أكثر من خمسة شهور ، وظل ابن حمدين على قضاء قرطبة حتى سنة 532 إذ صرف عن هذا المنصب بأبى القاسم أحمد بن محمد بن رشد ، ثم استعفى ابن رشد فأعفى وعاد ابن حمدين إلى تولى القضاء سنة 536 . وفى سنة 539 قام بإعلان الثورة على حكم المرابطين بعد أن بلغته أنباء ثورة ابن قسى فى غرب الأندلس ، وتسمى بأمير المسلمين المنصور بالله ، ودعى له على منبر قرطبة وأكثر المنابر الأندلسية ، ولكن ولايته لم تطل ، وتعاورته المحن ، وخرج إلى العدوة المغربية وأقام هنالك وقتا ، ثم عاد فاستقر بمالقة وتوفى سنة 548 (انظر فى ترجمته الضبي : بغية الملتمس ، رقم 685 ؛ ابن الأبار : التكملة ، رقم 119 والحلة السيراء 204/2 - 206 ، 211 - 219 ؛ وابن الخطيب أعمال الاعلام ص 252 - 254 حيث يسميه أحمد بن محمد ؛ ومن الابحاث الحديثة : فرانسسكو كوديرا : اضمحلال دولة المرابطين في الأندلس ص 53 - 67 ، ص 298 - 295 ؛ وبوسك فيلا : المرابطون ص 288 - 291) .

2) هكذا ذكر ابن القطان فى تاريخ هذه الموقعة نقلا عن الوراق ، وقد قدمنا أن الصحيح هو ما سبق أن أورده من قبل من أنها كانت فى الثالث والعشرين من رمضان سنة 528 (17 يوليه 1134) ، ويؤيد ذلك ما يذكره الضبي فى ترجمته لعالمين توفيا في سنة 528 المذكورة (بغية الملتمس ص 95 ، 406) وما تذكره سائر المراجع المسيحية التي أورد رواياتها كوديرا في بحثه عن « اضمحلال دولة المرابطين » (ص 269 - 272) ، وقد جاء في الروض المعطار لابن عبد المنعم الحميري أن الموقعة كانت في سنة 525 (انظر ص 24 - 25 من النص العربي) ولو أن ذلك يبدو مجرد خطأ مطبعي إذ أن ليفي بروفنسال ينص =

ابن رذمير [1] – لعنه الله تعالى – مدينة إفراغة من الثغر المصاقب لبلاد الفرنجة وذلك أن اللعين لما تغلب على الثغر الأعلى : مدينة سرقسطة وذواتها ، ومدينة تطيلة وذواتها ، وقلعة أيوب وذواتها ، وسواها ، وهزم عساكر لمتونة وقهرهم فى مواطن كثيرة رأى ذلك البرشلوني [2] مضاهيهم فى الثغر الأعلى ، فاشرأب إلى التغلب على ما يجاوره من البلاد : لا ردة وإفراغة وغيرهما ، ونظر لمتونة إلى ذلك ، فخافوا أن ينفتق عليهم فتق آخر من البرشلوني . فصالحوا البرشلوني باثنى عشر ألف دينار يؤدونها له فى كل سنة صلحا عن هذا الثغر الذي يصاقبه ، ويستريحون [3] من شره ولا يكابدون حربين ، وذلك عن أمر علي بن يوسف ؛

= في ترجمته الفرنسية لهذا الكتاب (ص 31) على أنها كانت سنة 528 ، أما ابن الأثير فقد تحدث عنها في أخبار سنة 529 (الكامل 351/8) . وانظر كذلك ما كتبه عنها ابن الخطيب في الإحاطة فى ترجمتي يحيى بن علي بن غانية (344/4) ومحمد بن سعد بن مردنيش (121/2) وكذلك (108/1) ، ثم فى أعمال الاعلام ص 259 - 260 ؛ وأخيراً بحث بوسك فيلا عن المرابطين ص 240 - 241 .

1) يعني به ألفونسو الأول ملك أرغون الملقب بالمحارب ، وقد مر ذكره من قبل (انظر ص 152 ، حاشية رقم 1) .

2) فى الأصل : البرشلولي ؛ والذي يشير إليه ابن القطان هنا من مهادنة المسلمين لقومس برشلونة ودفعهم الجزية له جديد لا نعرفه فى أي مرجع آخر من المراجع التي تحدثت عن ملابسات وقعة إفراغه (بالإسبانية Fraga) ؛ أما هذا « البرشلوني » فلابد أنه يعني به « ريمند بن برنجار » (المعروف في المراجع الإسبانية باسم Ramon Berenguer III والملقب بالعظيم El Grande) ، ولى إمارة برشلونة بين سنتي 1096 و 1131 م. (497 - 525 هـ.) ؛ ويبدو من الغريب أن يصل الأمر بالمسلمين إلى دفع الجزية له ، إذ أن هذا الأمير لم يعرف له كبير نشاط من الناحية العسكرية ضد المسلمين ، وكل ما عرف من ذلك عنه هو توجيهه حملة غير موفقة إلى مسلمى مدينة مربيطر Murviedro سنة 499 هـ. (1098) ثم اشتراكه مع القراصنة الجنويين والبيزيين فى غزو جزيرتي ميورقة ويابسة سنة 508 (1114) ، وحتى هذه الحملة لم يتح لها نصيب كبير من النجاح ، إذ أن القوات المتحالفة اضطرت إلى الجلاء عن ميورقة ويابسة في سنة 509 بعد أن وجه على بن يوسف أسطولا كبيرا لاستنقاذهما (انظر مقالنا « وثائق تاريخية ... » ص 158 - 160) ؛ أما أبناء ريمند بن برنجار الذين وزع عليهم مملكته بعد وفاته فلم يعرف لهم أيضا نشاط حربي يذكر (انظر عن حكم هذا الأمير كتاب أجوادو بلييه : تاريخ إسبانيا فى العصور الوسطى ص 632 - 634) . وعلى أية حال فلهذا النص قيمته في بيان ما كان بين مملكتي برشلونة وأرغون من تنافس .

3) فى الأصل : ويسترحون .

ولم يخف عن اللعين ابن رذمير هذا التدبير ، فآسفه وغاضبه [1] وقال : هؤلاء الفعال الصناع يؤدون الإتاوة للصانع الفاعل ، ولو أعطوني أنا درهماً واحداً لأخذته ، ويعلم أني قهرتهم وغلبتهم ! وحلف بأيمان مغلظة عنده : لأنزلن على تلك البلاد [77] التي يؤدون عليها الجزية [2] ، فأصيرها فى ملكي ، وأقطع منفعتها عن الفاعل الصانع البرشلوني ، حتى يعلم أهل الأرض أني قهرتهم فى كل وجه !

فجيش جيشه ، ونزل على مدينة إفراغة ، لما كانت أمنع تلك المدن وأحصنها ، وأهلها أُسْدَ ذلك الصقع ، فنازلها وأقسم بجميع أيمانه لا يقلع عنها حتى يستحوذ عليها .

وكان القائد ببلنسية يدر بن ورقاء [3] ، والقائد بمرسية يحيى بن علي بن غانية [4] . فلما مات يدر جمع علي بن يوسف عمله إلى ابن غانية فسكن مدينة بلنسية ، واجتمع عليه عسكرها ، ولما طاول ابن رذمير حصار مدينة إفراغة

---

1) كذا فى الأصل ، وربما كان الأقرب : وأغضبه ، وقد تكون : وغاظه ، فالناسخ كثيرا ما يخلط بين الضاد والظاء .

2) فى الأصل : الخزية .

3) سبق أن علقنا على شخصية أبى عبد الله يدر بن ورقاء هذا (ص 152 ، حاشية 3) .

4) هو أبو زكريا يحيى بن على بن غانية الصحراوي ، وغانية اسم أمه ، وتزوج عامل قرطبة أبو عبد الله محمد بن الحاج من أمه غانية هذه بعد موت أبيه وكفله ، فنشأ يحيى فى كنفه ، وولاه مدينة إستجة Ecija فهي أول ولاية له ، ثم رغب يدر بن ورقاء صاحب بلنسية إلى السلطان علي بن يوسف في توجيه يحيى إليه ليستعين به على العدو لما اشتهر من بسالته وغنائه فأجيب إلى ذلك ، ووصل يحيى إلى بلنسية وأقام بها ، ويبدو أن يدر بن ورقاء أسند إليه عمل مرسية من قبله في سنة 511 على ما يذكر ابن عذارى في القسم المرابطي من البيان ، فلما توفى يدر بن ورقاء في سنة 524 ضم علي بن يوسف عمل بلنسية مع عمل مرسية إلى يحيى بن غانية كما يذكر ابن القطان هنا ، وأصبح نظره بذلك يشمل شرق الأندلس كله ، وقد ظهر غناؤه وطار صيته ولا سيما بعد هزيمته لابن رذمير (ألفونسو المحارب) فى إفراغه سنة 528 ، كذلك كان له بلاء عظيم فى مدافعة النصارى عن مدينة الإشبونة (لشبونة) فى غرب الأندلس ، ثم ولاه تاشفين بن علي على قرطبة فى سنة 538 ، فاستقامت أحوال الأندلس بحسن سيرته إلى صفر من عام 539 حينما نشبت ثورة ابن قسى بغرب الأندلس على المرابطين ، ثم ثورة ابن حمدين بقرطبة ، =

وضاقت بهم الأمور كتبوا إلى يحيى بن غانية يشكون إليه [1] ويرغبون إليه فى إدخال القوت عندهم ، فما بقي لهم من القوت إلا اليسير « وإن أنت لم تفعل خضعنا لابن رذمير وأعطيناه المقادة » .

فلما قرأ كتابهم نظر لهم فى الميرة ، واستجاش وأرضخ [2] العطاء لأهل عسكره ، وأخبرهم أنه باق على لقاء عدوه ابن رذمير ، وأعتق بعض إمائه [3] وعبيده ، وكتب وصيته . فقال له بعض خاصته : تغزو بهذا العسكر وليس للمسلمين عسكر بالأندلس سواه ؟ فكيف تلقى علي بن يوسف بعد [4] اليوم وقد انهزمت ؟ . [قال [5] :] فليصنع بي ما شاء ، إلا إن فتح الله تعالى للمسلمين فى هذا الغزو ! .

= وكان يحيى قد توجه إلى لبلة Niebla لإخماد ثورة ابن قسى حينما بلغته ثورة ابن حمدين ، فكر راجعا إلى إشبيلية فثار به أهلها وناصبوه الحرب فلجأ إلى حصن برجانة ، ثم تحرك إلى حرب ابن حمدين فهزمه واستولى على قرطبة فى شعبان سنة 540 ، ولكن ابن حمدين استغاث بملك قشتالة وأطمعه فى دخول قرطبة وأبلى ابن غانية في دفاع النصارى أحسن البلاء ، ودخل الملك القشتالي قرطبة بالفعل حينما بلغته أنباء استفحال سلطان الموحدين ، فرأى من حسن الرأي أن يهادن ابن غانية ، حتى يكون سدا بينه وبين الموحدين ، واستقر يحيى بقرطبة ، وتنقل بعدها بين شتى قواعد الأندلس حتى لجأ أخيراً إلى غرناطة آخر معاقل المرابطين بالأندلس فأقام بها شهرين ثم توفى في الرابع عشر من شعبان سنة 543 (ديسمبر 1148) ، وكان ليحيى أخ هو محمد الذي ولى في سنة 520 على جزيرة ميورقة ، واستقر بها نسله مكونين بها إمارة مستقلة خلال نحو قرن (انظر الترجمة الضافية التي أفردها ابن الخطيب ليحيى بن غانية في الإحاطة 344/4 - 347 ؛ والبحث الذي أفرده المستشرق الأستاذ ألفريد بيل Alfred Bel عن بني غانية « Les Benou Ghanya » – ط . باريس سنة 1903 – ص 1 - 14 والمراجع المذكورة في ثنايا البحث .

1) فى الأصل : يشكوا إليها .

2) مشتق من الرضخ وهو العطية ، ويقال راضخ الرجل أي أعطاه من ماله وهو كاره .

3) في الأصل : وإيمائه .

4) في الأصل : على بعد .

5) إضافة يقتضيها السياق .

وقصد قصده وكان اللعين ابن رذمير مل الثواء والإقامة على مدينة إفراغة . ونشب في يمينه التي خرجت منه ، وكان قد جاءه بعض الرهبان من داخل الفرلجة ، وقال له : أنا أدعو عليهم ، فينهدم حصنهم ، وتدخل عليهم عنوة ! وصح قوله ذلك عند ابن رذمير ، وجاء هذا الراهب إلى قرب سور إفراغة ، فصعد ربوة من الربى ، ونظر السور ، وكان خبر الراهب قد سمع به أهل إفراغة ، فلما رأوه قائما على الربوة لم يشكوا « فى خبره أنه هو ، وكان عندهم منجنيق قوى ، فصوبوه إلى الربوة وغرض الراهب ووضعوا فى كفته حجراً كبيراً ، ورموا به إلى غرض الراهب وهو في دعائه على المسلمين يجد جده ، فأصابه حجر المنجنيق على هذه الحالة ، فذهب بنصفه وبقى نصفه فى موضعه !

وقد كان اللعين ابن رذمير تهيأ للدخول ، وعسكره واقف بإزائه بإزاء الراهب ، فلما رأى ذلك هاله وانصرف إلى موضع محلته مهين النفس خائب الأمل ، ثم ما زال أمره مختلا . وأهل إفراغة يدبرون الحيل عليه ، وهو يدبرها أيضا عليهم ، إلى أن وافت عساكر المسلمين ، فلما نظر أهل إفراغة إلى مجيئها ، وخرج ابن رذمير من معسكره إليهم ، فتحوا باب مدينتهم وخرجوا إلى محلته ، فنهبوا جميع ما كان [1] فيها من الطعام والأدم ، وأدخلوه مدينتهم ، ولقي اللعين ابن رذمير المسلمين موقنا بالظفر والغلبة على عادته ، فانعكس عليه الأمر ، وكانت الدائرة عليه ، فأهلكه الله تعالى وجنوده ، وقتلهم المسلمون أبرح قتل .

ومن أغرب ما جرى من أخبار هذه السنة أن طائفة من النصارى لجأوا إلى كهف ظنوا أنه ينجيهم ، فسقط عليهم ، فلم ينج منهم أحد آيةً من الله عز وجل ؛ وفر اللعين ابن رذمير فى شرذمة قليلة جدا ، ولحق بمدينة سرقسطة واله العقل مخبول الذهن ، واستخذى للمسلمين الذين فيها ، وألان لهم القول ،

---

1) في الأصل : كانوا .

ثم خرج منها إلى وشقة فأقام بها مختبلا أشهراً قليلة ، وحان أجله إلى نار الله الحامية [1] .

وولى قضاء فاس في هذا العام عبد الحق بن عبد الله بن معيشة [2] فأراق الخمر ، وكسر الدنان ، وتشدد على أهلها ، وكتب إلى علي بن يوسف إن الجامع ضاق عن المصلين ، فأذن له في الزيادة فيه ، فكان البناء فيه في بقية هذه السنة [3] .

---

1) ذكر ابن الأثير (الكامل 351/8) أن ابن رذمير لم يعش بعد هزيمته في إفراغة إلا عشرين يوما . والواقع أن المراجع المسيحية لا تتفق على تاريخ وفاة الملك المسيحي ، فحوليات ألفونسو السابع تجعل وفاته فى 25 يناير سنة 1134 ، وهو أمر مستحيل إذ معناه أنه توفي قبل معركة إفراغة بسبعة أشهر ، ويرى الأستاذ كوديرا أن أرجح الأقوال هو ما ذكره خيمينث دى إمبون Jimènez de Embun الذي يقول إن وفاة ألفونسو المحارب كانت في 7 سبتمبر من هذه السنة أي بعد معركة إفراغة بنحو شهرين ، وهو ما يمكن أن يتفق مع ما يذكره ابن القطان هنا (انظر اضمحلال دولة المرابطين ص 271 - 272) .

2) أبو محمد عبد الحق بن عبد الله بن معيشة ولي قضاء فاس بعد وفاة أبي عبد الله محمد بن داود . وقد احتفظ لنا بجملة من أخباره ابن أبي زرع فى روض القرطاس (61 - 62 ، 71) ، وانظر كذلك ابن عذارى : البيان المغرب (312/1) .

3) يذكر ابن أبي زرع فى حديثه الطويل عن جامع القرويين بفاس أن الذي يرجع إليه فضل الزيادة فى المسجد هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن داود الذي كان قاضي المدينة في أيام على بن يوسف قبل ابن معيشة ، وكانت فاس قد كثرت فيها العمارة حتى ضاق الجامع بكثرة الناس في أيام الجمعة حتى كانوا يصلون في الأسواق والشوارع والطرق ، فاستأذن ابن داود علي بن يوسف في الزيادة فيه فأذن له ، وبدأت أعمال الزيادة التي يبسط ابن أبي زرع وصفها ، وأتم تركيب الباب والقبلة في شهر ذي الحجة سنة 528 ، ثم توفي القاضي ابن داود فولى القضاء بعده ابن معيشة المذكور ، فواصل أعمال الزيادة كما جعل الأبواب مغشاة بالصفر وعمل أمام الباب قبة وزاد فى سعته ، وبدل الصومعة ، وشرع فى بناء المحراب والقبة التي عليه منقوشين بالذهب واللازورد وأصناف الأصبغة ، فتم له كل ذلك ، وجاء على غاية الكمال ، ثم ولى قضاء فاس أبو مروان عبد الملك بن بيضا القيسي ، فواصل أعمال الزيادة والنقوش حتى شعبان سنة 538 ، على أن كثيراً من هذه النقوش والزخارف قد غطى وزال إذ أنه لما أوشك الموحدون على دخول المدينة خشى فقهاؤها أن ينتقدوا عليهم ذلك فعملوا على تغطيتها (انظر ابن أبي زرع : الروض 59/1 - 65) .

باب

ذكر أخبار سنة ثلاثين وخمسمائة

أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى :

في هذه السنة كانت وقعة مصكروطن [1] ، وخروج سير بن [علي بن] [2] يوسف الزرجانى .

قال اليسع :

إن سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه هبط قبل عام أحد وثلاثين إلى أجرفرجان ومصكروطن ، وخرج المجسم سير بن علي بن يوسف [وهو ولي] [3] عهد أبيه بالجيوش ، وسيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه (متعلق) [4] بالجبال ، يطاول في حروبه ، فإذا رأى ضالته وثب عليها وثوب الليث على الفريسة ، فالتقوا على مصكروطن ، فهزمهم سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه ، وكانت وقعة أخذ فيها من أموال المجسمين شئ عظيم .

وغزوة تادلا .

قال ابن صاحب الصلاة :

إنها أول غزوات سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه بعد الإعلان فى

---

1) يسمى البيذق هذا الموضع « مسكروطان » (أخبار المهدي ص 129) .

2) في الأصل : سير بن يوسف ، والصواب ما أثبتنا حسبما سيأتي في هذا النص بعد قليل .

3) كلمتان مطموستان في الأصل ، ولعلهما ما قرأنا .

4) بياض فى الأصل بقدر كلمة ، ولعها ما كتبنا أو شئ في معناها ، وانما أثبتناها لان هذا التعبير سيتكرر بعد ذلك في النص على نحو ما ذكرنا .

عام ثلاثين [1] ، فميز الجيش بتينملل ، وقسم البركة ، وتشاور مع الموحدين ، أعزهم الله تعالى في أي وجهة يقصد ، فأشاروا بتادلا ، فأضمر ذلك فى نفسه سرا ، ثم نهض موريا بوجهته حتى صبَّح تادلا وجهاتها ، فقتل وسبى ، وامتلأت أيدي الموحدين أعزهم الله تعالى ..... [2] ، ففر عنه [3] أصحابه وتركوه ، فكر منصرفا ، فكبا به فرسه وسقط عنه ، فأدركه الموحدون أعزهم الله تعالى وقتلوه .

أخبار غيرهم :

منها موالاة تأثير الجراد في زرع الأندلس التأثير الفاحش ، وموالاة البناء في الزيادة في جامع فاس على يد القاضي ابن معيشة ، وتوزع المال الذي ينفق في ذلك على أهلها وسد ثلمات [4] سورها ، وزاد فيه أبراجا ، وبني سورا يحيط بالمقابر ، * وتوزيع عشرين ألف دينار على أهل فاس معونة للجيش ، بكتاب علي ابن يوسف الزرجاني . [79 أ]

والعباسي فى هذه السنة هو الراشد .

---

1) يجعل ابن أبي زرع خروج عبد المؤمن لهذه الغزوة فى الرابع والعشرين لربيع الأول سنة 526 (روض القرطاس ص 187) ، ويذكر السلاوي نقلا عن ابن مطروح القيسي أن عبد المؤمن سار في شوال سنة 526 أولا إلى مراكش ، فحاصرها ثم ارتحل عنها إلى تادلا ، إلى سلا . فتلقاه أهلها مطيعين ، فدخلها فى الرابع والعشرين من ذي الحجة في السنة المذكورة (الاستقصا 106/2) . كذلك جعلها ابن خلدون في سنة 526 ، وذكر أنها كانت قبل غزوة تاسغيموت (العبر 22/6) ، ويوافق صاحب الحلل الموشية هؤلاء المؤرخين على أن غزوة تادلا كانت أولى غزوات عبد المؤمن بعد اعلان البيعة له (ص 143) . وانظر أويثي : تاريخ 114/1 .

2) يستشف من السياق أن هناك كلمات سقطت من النص فى هذا الموضع .

3) لسنا نعرف على من يعود الضمير هنا ، ويبدو أن اسم القائد المرابطي الذي يعود عليه الضمير قد سقط في الخرم الذي أشرنا إليه في الحاشية السابقة ، على أننا نقطع بأن القائد المعنى ليس هو سير بن علي ابن يوسف المذكور قبل ذلك . فهو لم يمت في هذه الوقعة .

4) كلمة غير واضحة في الأصل .

باب

ذكر أخبار سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة

لا أدري ما كان فيها من غزوات الموحدين أعزهم الله تعالى غير أن سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه متعلق بالجبال ، وأمره في غاية الاستفحال [1] .

وذكر ابن صاحب الصلاة له رضي الله تعالى عنه غزوة إلى بني بيغز [2] لم يؤرخها ، وقال إنها ثالثة غزواته رضي الله تعالى عنه ، فهي فى هذه السنة أو ما يقاربها . قال : إن سيدنا ومولانا الخليفة الإمام رضي الله تعالى عنه لما أراد النهوض من حضرة تينملل لغزو بني بيغز [3] تقدم إليهم من إخوانهم المجاورين لهم من أنذرهم ونصحهم ، فانقادوا وأذعنوا ووحدوا ، فقدم أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه عليهم ، وانصرف إلى تينملل قافلا ظافرا ظاهرا .

وكان في هذه السنة بالأندلس غزوة تاشفين بن علي بن يوسف لخيل من النصارى ، فهزمهم على مقربة من قصر عطية ، واحتوى على أسلابهم وأنهابهم ؛

وغزوته أيضا التي نازل فيها أشكلونة ، فدخلها المسلمون بالسيف عنوة ، وقتلوا كل من فيها ، وأسروا نساءهم واحتووا على أسلابهم وأنهابهم ظافرين [4] ،

---

1) في الأصل : الاستعجال .

2) في الأصل : بيغز .

3) في الأصل : يغز .

4) أشار ابن أبى زرع أيضا إلى هاتين الغزوتين من غزوات تاشفين ، وفيما يلي نص ما يقول (روض القرطاس 164) : « وفي سنة 530 هزم الأمير تاشفين جموع الروم بفحص عطية وأفنى منهم خلقا كثيراً ... وفى سنة 532 جاز الأمير تاشفين من الأندلس إلى العدوة بعد أن غزا مدينة أشكونية (كذا ، وفي الطبعات الفاسية للروض : أشقولية) وحمل من سبيها إلى العدوة ستة آلاف سبية وفتحها عنوة ، فوصل إلى مراكش ، فتلقاه والده علي أمير المسلمين في زي عظيم وفرح به » . كذلك تحدث عن غزوة تاشفين لجبل القصر ابن عذارى في القسم المرابطي من البيان المغرب ص 94 ؛ وقد نقل السلاوي ما كتبه ابن أبى زرع (الاستقصا 67/2) . على أن خبر ابن القطان أكثر دقة في تحديد المواضع =

وساقوا جملة من نسائهم وغنائمهم ، وسيقت نواقيص [1] كثيرة فيها ناقوص [1] عظيم ، وكان يوم دخول ذلك كله بروز عظيم بقرطبة وسرور كثير .

وفيها كان بناء تاشفين الناعورة [2] على النهر الأعظم بقرطبة .

وخروج الجراد وإضرارها بالزرع كثيراً .

وكان في هذه السنة تمام الزيادة في جامع فاس ، وعزل ابن معيشة عن قضائها [3] .

والعباسي في هذه السنة هو الراشد .

* * *

= والتواريخ ، وهاتان الغزوتان كانتا في غرب الأندلس (البرتغال الحالية) . وانظر ما كتبه عنهما كوديرا في بحثه عن أسرة بني تاشفين ص 141 - 142 ؛ وتحقيق أويثي لهما في بحثه « روض القرطاس والمرابطون » – مجلة إسبريس – الرباط سنة 1960 – ص 540 .

1) كذا في الأصل .

2) في الأصل : الناعوت .

3) ذكر ابن أبي زرع أن ابن معيشة عزل والمنبر والبناء وباب الجنائز والصحن من جامع القرويين بفاس لم يكمل بناؤها بعد ، وأن متولي القضاء بعده ، وهو أبو مروان عبد الملك بن بيضا القيسي هو الذي أتم كل ذلك ، وكان الفراغ منه في شهر شعبان سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة (روض القرطاس ص 62) .

باب

ذكر أنباء سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة
أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى :

[9] في هذه السنة ، كانت هزيمة زناتة بجبل غياثة [1] ، وذلك أنه تحرك سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه من حضرته تينملل – زادها الله تشريفا – إلى جبل غياثة ، ونزل به ، فخرج المجسم سير بن علي بن يوسف ولي عهد أبيه في عساكره يريد غياثة ، فنزل بجراندة [2] بمقربة من المقرمدة عند وادي أبي حلوا ، ونزلت محلاته بها ، فوافاه بها عسكر الغرب عليهم عبد الله بن يحيى ابن أبي بكر بن تيفلويت المجسم [3] ، فنزل قريبا منه على أميال . وحشدوا زناتة ، فاجتمعت لهم جموع من قبائلهم يقدمهم يحيى بن فانو [4] ، وهو أخو عبد الله ابن يحيى لأبيه ، فكان عسكر يحيى هذا نيفا على خمسة آلاف فارس .

1) ينفرد ابن القطان بالحديث عن هذه الغزوة دون سائر مؤرخي الدولة الموحدية .

2) يسميها ابن عذارى : كراندة ، ويعرفها بأنها الجبال المجاورة لفاس (البيان المغرب – القسم الموحدي – ص 16) .

3) أبو بكر بن ابرهيم المسوفي الصحراوي المعروف بابن تيفلويت جد عبد الله هذا كان من أمراء المرابطين المعروفين ، وهو صهر علي بن يوسف كان زوجاً لأخته وأباً لولده منها يحيى ، وهو الذي كان واليا على غرناطة سنة 500 ثم على سرقسطة حتى وفاته في سنة 510 (انظر في ترجمته ابن الأبار : معجم شيوخ أبي علي الصدفي ص 67 ؛ ابن الخطيب : الإحاطة – ط . عنان – 1/404 - 409 ؛ ديوان ابن خفاجة بتحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي – الإسكندرية سنة 1960 – ص 443) ، أما أخت علي بن يوسف المذكورة فهي فانو أو فنو التي كانت أماً ليحيى – أبي عبد الله المذكور هنا – ولعلي بن ابي بكر الذي عرف ايضا باسم « ابن فنو » ، وكان واليا على غرناطة في سنة 539 أثناء ثورة ابن أضحى على المرابطين (انظر ابن الأبار : الحلة السيراء 2/212 وما بعدها) . ويكاد ابن القطان يكون المؤرخ الوحيد الذي احتفظ لنا بأخبار عن عبد الله بن يحيى (بن فانو أو فنو) المذكور هنا (انظر كذلك بحث كوديرا عن أسرة بني تاشفين ص 114 - 116 ، ونلاحظ أن هذا الباحث خلط بين يحيى بن أبي بكر بن تيفلويت ويحيى ابن غانية) .

4) إذا صح هذا النص وكان هذا القائد المرابطي المشهور أخاً لعبد الله بن يحيى بن أبي بكر =

وعند احتفال جموعهم هذه وَحَّد زيري بن ماخوخ [1] من أشياخ زناتة ، ولحق بسيدنا ومولانا الخليفة الإمام رضي الله تعالى عنه ، وطلب عسكرا تظهر به خدمته في عساكر الغرب فأعطى حصة قَدَّمَ عليها أحد أشياخ الموحدين أعزهم الله تعالى ، فضرب على محلاتهم وهم غارون ، فانهزموا وقتل من أدرك ، وسبى محلاتهم ، وجلا الفتح والسلب إلى أعلى جبل غياثة للمحلة المباركة المؤيدة المنصورة .

= المذكور قبل ذلك فمعنى هذا أن صحة اسمه « يحيى بن يحيى بن أبى بكر » ، ففانو اذن التي ينسب إليها ليست أمه في الواقع وانما هي أم أبيه يحيى وقد تكون نسبته إليها بسبب شهرتها لكونها أخت علي بن يوسف ابن تاشفين سلطان المرابطين . ولا نعرف من أخبار يحيى هذا إلا ما ذكره البيذق من أنه كان عاملا على أجر سيف حينما دخلها محمد بن تومرت بعد عودته من رحلته إلى المشرق ، إذ يقول إن المهدي حينما حل بأجر سيف وأقبل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استصرخ به عامتها وكانت قلت نعامة لوزير يحيى فغرم الناس بها ألف مثقال فطلب عامة البلد من ابن تومرت الشفاعة لهم لدى العامل فسار ابن تومرت إلى يحيى (بن يحيى) بن فانو وأعلمه بالأمر فأنكر يحيى ذلك وأمر أن يغرم الوزير ما أخذ من الناس من المظالم وهم بقتله فقال له المهدي : ما عليه قتل إنما عليه الأدب ورد المظلمة (أخبار المهدي ص 62) ، ونرى مما يذكره ابن القطان هنا أنه كان يتولى قيادة عسكر تلمسان في سنة 532 وأنه توفي أثناء قتاله للموحدين لمرض أصابه كما سيأتي .

1) لعل زيرى بن ماخوخ هذا هو الذي يذكره ابن خلدون باسم « أبي بكر ابن ماخوخ » وكان من قواد المرابطين على زناتة ومن أمراء قومه بني ومانو ، وقد خرج بعد ذلك على المرابطين وأصبح من كبار قواد عبد المؤمن بن علي ، ويقول ابن خلدون إنه وصل إلى عبد المؤمن وهو بمكانه من الريف هو ويوسف بن يدر أحد أمراء بني ومانو أيضا فبعث عبد المؤمن معهما ابن يغمور ويوسف بن وانودين فى عسكر من الموحدين فأثخنوا فى بلاد بني عبد الواد وبنى باجدى سبيا وأسراً ، وأمدهم عساكر لمتونة ومعهم الربرتير قائد الروم فاجتمعت عليهم زناتة وبنو عبد الواد فأوقعوا في بني ومانو واستنقذوا غنائمهم وقتل أبو بكر (زيري) بن ماخوخ في ستمائة من قومه ، وذلك فى سنة 537 ؛ وكان لابي بكر هذا أخ اسمه تاشفين بن ماخوخ خرج بعد هزيمة أخيه ومقتله صريخا إلى عبد المؤمن على لمتونة وزناتة ، فارتحل معه إلى تلمسان ، فأمره على قومه وسيره لقتال عسكر بجاية الذين استنجد بهم المرابطون فهزم تاشفين ذلك العسكر هزيمة شديدة (انظر البيذق : أخبار المهدي ص 108 ؛ ابن خلدون : العبر 230/6 - 231 ؛ السلاوي : الاستقصا 102/2 - 103) .

ومات يحيى بن فانو قائد عساكر تلمسان من زناتة وغيرهم لمرض أصابه ، فوجه الزرجالي سير بن علي ولده محمد بن يحي بن فانو [1] عوضا منه ليتدارك جموع زناتة قبل افتراقهم ، فكان كذلك ، اجتمعت عليه عساكر أبيه ، فوصل إليهم ونزل على مقربة من وجدة ، وكانت طلائعهم على مجشر قلال .

واتصل بسير بن علي أن سيدنا ومولانا الخليفة الإمام رضي الله عنه يريد بلاد غمارة ، فنصب له ألفي فارس على طريقه : يقيم الألفان جمعة ، ثم يُبَدَّلون بألفين آخرين ، هكذا يتناوبون طول مدة المقام بجبل غياثة ، وكان المقام به شهرين اثنين .

وإن زيري بن ماخوخ راسل إخوانه من زناتة ، واتفق معهم على أن يعملوا الهزيمة يوم « اللقاء ، فوجه سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه حصة مختارة [80 أ] مع زيري بن ماخوخ من جبل غياثة حتى وصلوا إلى محلة محمد بن يحيى مع زناتة ، فضربوا فيهم فركبوا وهيأوا صفوفهم ، وعبأوا عسكرهم ، فاقتتلوا معهم ، وكان يوما شديدا ، وكان النصر فيه للموحدين أعزهم الله تعالى ، فانهزمت قبائل زناتة وعسكر محمد بن يحيى .

---

1) أشار البيذق وابن عذارى وابن خلدون والسلاوي وابن الأثير إلى المعارك التي دارت بين محمد ابن يحيى بن فانو هذا وعبد المؤمن بن علي ، ويبدو أن هذه المعارك اتصلت ما بين سنة 532 التي يعرض ابن القطان أخبارها هنا وسنة 537 التي تنص المراجع الأخرى على أن مقتل ابن فانو حدث فى خلالها ، ويفصل ابن عذارى هذا الخبر فيقول إن الموحدين كانوا قد انقسموا فى سنة 537 بعد وفاة علي بن يوسف ابن تاشفين على ثلاث فرق : فرقة منهم بجبل غياثة ، وفرقة بجبل الريف بملوية ومليلة وغمارة ، وفرقة مع يوسف بن وانودين وابن زجو وابن يومور . وتوجهوا إلى جبل مديونة وجهة تلمسان ، فخرج إليهم الوالي على تلمسان حينئذ محمد بن يحيى بن فانو بعسكر من زناتة وغيرهم فالتقى معهم وقتل محمد بن يحيى المذكور في واد كان هنالك ، وانهزم عسكره ، وينص ابن خلدون والبيذق على أن الذي أوقع بمحمد ابن يحيى وقتله هو القائد الموحدي يوسف بن وانودين ، ويذكر هذا المؤرخ الأخير أن هذه الغزوة كانت فى خندق الجمر الذي يسمى بوادي الزيتون وأن ابن وانودين قتل فيها قائدا مرابطيا آخر مع ابن فانو يسميه أبا بكر الجوهر (انظر أخبار المهدي ص 94 : العبر 230/6 ؛ البيان المغرب ص 18 ؛ الاستقصا 102/2 - 103 ؛ الكامل 299/8 ؛ وانظر كذلك بحث كوديرا عن أسرة بني تاشفين ص 115 ؛ أويشي ؛ تاريخ 115/1 - 116 ، 127) .

أخبار غيرهم :

فى هذه السنة كان انصراف أبي جعفر ابن حمدين عن قضاء قرطبة ، وولاية أبي القاسم ابن رشد [1] لقضائها .

ووصول المجسم تاشفين بن علي بن يوسف من غرناطة إلى قرطبة ، وخروجه منها إلى العدوة مستدعى من أبيه [2] .

وخروج العدو [3] دمره الله تعالى إلى بلد المسلمين في جيش عرمرم ، فأجازت جملة منهم الوادي الكبير في أعلاه بمقربة من بياسة وأبدة ، ووصلت بالغارة إلى البراجلة ، وأوقعت بالمسلمين نكاية صغرت في جانب ما وقى الله تعالى بتوالي نزول المطر وإكبابه مدة من عشرين يوما ، فمد النهر ، ولم تقدر الخيل المغيرة على عبوره إلى محلتهم ، وصنعوا معادي للجواز ، فانقطع بعضها وغرق من كان فيها ، وتبعهم قائد جيان ، فأصاب منهم فوارس ، وانصرف العدو – دمره الله تعالى – بعد أن قاتل حصن شبيوطة من عمل أبدة فأعجزه ، وارتاد تاشفين لما خرج من قرطبة نحو العدوة مدافعتهم ، فتلوم لأجل المطر وغيره أربعين يوما ، فكفى الله تعالى أمر النصارى ، وأجاز البحر في صدر جمادى الأولى ، ودخل مراكش في أول رجب من هذه السنة .

---

1) هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد ، ولد سنة 487 ، ووالده هو قاضي الجماعة الفقيه المعروف الذي توفي سنة 520 ، أما أبو القاسم المذكور فقد لازم أباه كثيرا وأخذ عنه ، ولي قضاء الجماعة سنة 532 بعد صرف أبي جعفر ابن حمدين الذي ولي في سنة 529 كما ذكر ابن القطان من قبل ، ولكن ابن رشد استعفي من هذا المنصب بعد فترة قصيرة ، ويقول ابن بشكوال إنه كان محببا إلى الناس طالبا للسلامة منهم بارا بهم ، وكانت وفاته في 13 رمضان سنة 563 (انظر في ترجمته ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة 172 ؛ وابن الأبار : المعجم ، ترجمة 33) .

2) ذكر ابن الخطيب فى ترجمته لتاشفين بن علي أن خروجه من الأندلس إلى المغرب كان فى سنة 531 أو فى 532 دون أن يقطع برأي في ذلك ، على أن ابن القطان كان أكثر دقة إذ سنرى فى بقية هذا النص أن خروجه كان فى جمادى الأولى سنة 532 ، ووصل إلى مراكش فى أول رجب من هذه السنة (انظر الإحاطة لابن الخطيب – ط ، عنان — 361/1) .

3) ينفرد ابن القطان بذكر تفاصيل هذه الوقائع ، وانظر كذلك بحث الأستاذ أويثي : روض القرطاس والمرابطون ص 540 - 541) ، وبياسة Baeza وأبدة Ubeda بلدتان من أعمال جيان Jaén وكذلك قرية شبيوطة Sabiote .

وفي هذه السنة كانت ولاية ابن المناصف [1] لقضاء غرناطة .

وفيها كان غرق المراكب المصرية التي وصلت من الإسكندرية ، منها المركب الغيطاني والمركب العجزي [2] ، وكانت عظيمة الجرم جدا ، وكانت فيها أموال عظيمة وخلق كثير [3] .

وفيها كان موت الراشد العباسي [4] ، وولاية عمه المقتفي لأمر الله تعالى أبي عبد الله محمد .

وفيها كان موت عبد المجيد صاحب مصر [5] ، وكان قد عهد في حياته

---

1) هو القاضي أبو عبد الله محمد بن أصبغ الازدي القرطبي المعروف بابن المناصف ، وقد تكررت الإشارة إليه فيما سبق .

2) كذا ، ومن الواضح أنهما نوعان من المراكب الضخمة .

3) يبدو هذا الخبر كما يرويه ابن القطان هنا غامضا مضطربا ، ولعله يشير إلى ما ذكره ابن عذارى فى البيان المغرب (312/1 - 313) – ولو أنه يجعل ذلك في سنة 536 – من أن الحسن بن علي بن يحيى بن تميم صاحب المهدية استولى في تلك السنة على مركب كان لصاحب بجاية يحيى بن العزيز بن المنصور بن علاء الناس ، وكان قد أقلع من الإسكندرية ببضائع عظيمة وهدية إلى صاحب بجاية ، فتعرض له الحسن بن علي المذكور واستولى عليه – وكانت العلاقات سيئة بين المهدية وبجاية – ويضيف ابن عذارى أنه كان مركبا كبيراً ، فأمر الحسن بن علي بتفريغه ، وبقى في ميناء بجاية فارغا حتى جاءت صدمة أكتوبر – هكذا يقول ابن عذارى ، ولعله يعني عاصفة شديدة هبت في هذا الشهر – فتكسر . إلا أنه استغل أخشابه فصنع منها مركبا جديدا ظل في مرسى المهدية حتى هجم عليه جرجي الصقلي بخمسة وعشرين غرابا (مركبا حربيا) فاستولى عليه في جملة ما غنمه من مراكب المهدية . وربما كان ابن القطان يشير إلى هذه الواقعة .

4) ولي الراشد بالله أبو جعفر منصور بن المسترشد سنة 529 كما أسلف ابن القطان ، وتوفي سنة 532 ، وكان مولده سنة 502 ، وخرج بعد خلافته بقليل إلى الموصل لقتال السلطان مسعود بن محمد شاه السلجوقي ، فخذله أصحابه ، وقبض عليه السلطان مسعود وخلعه من الخلافة ثم حبسه إلى أن قتله فى شهر رمضان سنة 532 بظاهر إصبهان (انظر النجوم الزاهرة 263/5) ، وولي بعده أبو عبد الله محمد الملقب بالمقتفى بالله بن أحمد المستظهر بن المقتدي .

5) أخطأ ابن القطان هنا مرة ثانية إذ أورد وفاة الخليفة الفاطمي الحافظ عبد المجيد فى هذه السنة ، وإنما كانت وفاة الحافظ وولاية ابنه الظافر أبي منصور إسماعيل على مصر فى جمادى الآخرة سنة 544 =

لابنه الأصغر وسماه الظافر ، فلما مات عبد المجيد اختلفت العسكرية ، فقامت
[80 ب] طائفة منهم مع ولده الأكبر ، * وقامت طائفة أخرى مع الأصغر ، وظهر الأكبر
على الأصغر [1] ، وكان بالإسكندرية وال يعرف بابن السلار [2] ، فطلع بالعساكر
والجنود لنصرة الظافر ، وزعم أن أباه جعله له حاجبا ، فكسر العساكر التي
قامت مع الأكبر ، وقبض على الأكبر القائم .

وكانت قد قدمت على الإسكندرية جارية كانت لعلي بن يحيى صاحب
المهدية [3] – أفضت الإمارة إليه بعد وفاة أبيه – ولها جمال رائع ، فقيل لها : من أنت ؟

= (انظر ابن تغرى بردي : النجوم 288/5 ، ابن الأثير : الكامل 24/9) ، هذا ويبدو أن ابن عذارى تابع ابن القطان على ذلك الخطأ ، إذ أرجح الظن أنه كان مرجعه فيما أورده من أخبار الفاطميين (انظر البيان المغرب 312/1) .

1) كان الظافر أبو منصور اسماعيل بن الحافظ عبد المجيد فعلا أصغر إخوته سنا ، ولد بالقاهرة سنة 527 (انظر ابن خلكان : الوفيات 237/1 - 238 ؛ ابن تغرى بردي : النجوم 288/5) ؛ على أننا لا نعرف في مختلف المراجع ما يشير إليه ابن القطان هنا من القتال بين الظافر وبين أخيه الأكبر .

2) هو أبو الحسن وأبو منصور علي بن إسحاق المعروف بابن السلار والملقب بسيف الدين الملك العادل ، كان كرديا من تربية القصر بالقاهرة وتقلب في ولايات الصعيد وغيره حتى ولي وزارة الظافر في رجب سنة 544 ، وكان الظافر قد استوزر أولا نجم الدين أبا الفتح بن مصال في أول ولايته ، ثم قدم ابن السلار القاهرة ، وتولي تدبير الأمور ، وحشد ابن مصال جماعة من المغاربة فانتصر عليه ابن السلار بدلاص في الوجه القبلي وذلك في أواخر سنة 544 ، وقد ظل ابن السلار على الوزارة حتى قتله على فراشه نصر بن العباس ، وكان أبوه العباس ربيباً لابن السلار ، وذلك في سنة 548 في شهر محرم ، وسيورد ابن القطان خبر مصرعه (عن ابن السلار انظر ترجمته في وفيات الأعيان 416/3 - 419 ؛ الكامل 24/9 - 25 والدكتور حسن ابرهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ص 181 - 185) .

3) اسم هذه الجارية على ما تذكر المصادر الشرقية بلار بنت القاسم بن تميم بن المعز وزوجة أبي الفتوح بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي : وكانت قد وصلت إلى مصر في سنة 503 مع ولدها أبي الفضل عباس ، وكان طفلا إذ ذلك ، فتزوج منها ابن السلار واتخذ ابنها أبا الفضل عباساً ربيباً له درج في كنفه ، حتى كان منه ومن ابنه نصر ما سيشير إليه ابن القطان بعد (انظر المراجع المذكورة في الحاشية السابقة) .

قالت : من قصر صاحب المهدية ، فبلغ خبرها ابن السلار [1] .....

.....

واليا عليها قدمه عبد المجيد المذكور ، وجعل له النظر لولي عهده الظافر ، فارتفع قدره ، ونشأ العباس ربيبه في رفاهية ، وتزوج وولد له ولد [2] .

فلما مات عبد المجيد المذكور ووطد ابن السلار دولة ولي عهده الظافر استوطن ابن السلار وربيبه العباس [3] مع أمه وزوجته وولده مصر ، وقدم وال آخر على الإسكندرية ، ويسمى هذا ابن السلار بأمير الجيوش شاهنشاه [4] سيف الدولة [5] ، وكان والي مصر المسمي بالظافر من نحو ستة عشر عاما ، وكان يميل إلى مخالطة الصبيان ، فدخل إليه ولد العباس ، وتعرف به وخالطه .

فلما أراد الله تعالى إنفاذ وعده قال الظافر لولد العباس : اقتل ابن السلار ، ونولي الحجابة أباك ونستريح معه . فعمل مع بعض العبيد على قتله ، فقتله . فقام الناس والعباس يطلبون قاتله ولا يدرون من هو ، فقالت أم العباس للعباس [6] : والله ما قتله إلا ابنك ! فهم بقتل ابنه ، فقالت له : تقتل ابنك وقد قتل [7] محل

---

1) لم يترك الناسخ فراغا بعد هذه الكلمة ، غير أنه من الواضح أن عبارات سقطت من هذا الموضع ، وعلى أية حال فإننا نعرف من المراجع المصرية والشرقية أن ابن السلار تزوج من هذه الجارية واتخذ ابنها عباسا ربيبا له .

2) هو نصر بن العباس الصنهاجي الذي سيورد ابن القطان خبره دون أن يذكر اسمه .

3) في الأصل : العباسي .

4) في الأصل : شاه بن شاه .

5) الذي جاء في المراجع الشرقية أن لقبه كان « سيف الدين » ، وقد ذكر الدكتور حسن ابرهيم حسن أن ابن السلار كان سنيا غاليا على الرغم مما يشعر به ذلك اللقب « سيف الدين » من انضوائه تحت لواء المذهب الفاطمي (انظر تاريخ الدولة الفاطمية ص 183) .

6) في الأصل : العباسي للعباسي .

7) في الأصل : قيل .

أبيك ، فتجمع عليك وزرين [1] ؟ فكف ، ورجع العباس حاجباً ، وذلك فى سنة أربع وأربعين [2] .

فلما بقي أشهراً قال الظافر للصبي : قتلت ابن السلار ، اقتل والدك العباس وتكون الحجابة لك ، ولا نجد من ينقض [3] علينا فما زال حتى أسلم له . وأخذ فى ذلك مع بعض العبيد ، فوشى العبد بذلك إلى العباس [4] فأشفق من ذلك ، ووجه عن ولده ، واستفهمه عن القصة ، وتوعده إن لم يصدقه ليقتلنه . فصدقه وعرفه أن
[81 أ] الظافر أمر بقتله ، فقال : لا بأس عليك ! اعمل طعاما * وادع الظافر للأكل عندك والمبيت ، وليأتك مستترا ، فقال الصبي للظافر : بنيت دارا ، وأريد أن أعمل فيها طعاما ، فعسى أن تشرفني وتكون أنت أول من يأكل طعامي فيها . قال له : وكيف يكون ذاك ؟ قال : تأتي مستترا فى الليل في زي الأستاذين [5] ، وترجع مع السحر فى الغبش فأسعفه فى ذلك ، فلما كان بعد المغرب خرج مستترا إلى أن دخل دار العباس . فلما اطمأن به المجلس هجم عليه العباس ، وقتله ودفنه .

---

1) في الأصل : فتجتمع عليك ورءين .

2) يختلف ما يذكره ابن القطان هنا عما أورده المؤرخون المشارقة والمصريون فبينما يجعل ابن القطان الخليفة الظافر هو محرض نصر بن عباس على قتل ابن السلار كافل أبيه ، ويقول إن عباسا لم يكن لديه علم بمشروع ابنه إذا بالمؤرخين المصريين يقولون إن عباسا نفسه هو الذي حرض ابنه على قتل ابن السلار ، وكان ممن شجعه على ذلك أسامة بن منقذ ، وذلك أن ابن السلار أنفذ عباسا إلى الشام ليشترك في قتال الصليبيين وكان في صحبته أسامة بن منقذ وابنه نصر ، فلما وصل إلى بلبيس تذكر طيب البلاد المصرية وعسر ما هو مقدم عليه من بلاء الحرب ، فأظهر شكواه لأسامة بن منقذ ، فبين هذا له أنه يستطيع أن يتجنب كل ذلك بقتل ابن السلار واتفق معه على أن يقوم ابنه نصر بتنفيذ خطة الاغتيال ، وأن ذلك إذا تم فإنه أى عباساً يستطيع أن يتولى الوزارة مكانه ، فعاد نصر إلى القاهرة ، وتولى القيام بهذه الخطة الغادرة في 6 محرم سنة 548 (انظر الدكتور حسن ابرهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص 184 - 185 والمراجع المذكورة في هذا الموضع) .

3) فى الأصل : ينفص ، ويمكن أيضا أن تكون « ينغص » .

4) في الأصل : العباسي .

5) يعني خدم القصر الخصيان .

فلما أصبح وأقبلت الأجناد على جرى العادة إلى العباس ركب معهم [إلى [1]] القصر ، وقال : نريد الدخول للظافر ، فقيل له : هو مشغول ، فقال : لابد من ذلك . وحمل الأجناد فدخل القصر ، فلما حصل فيه قال للصقالبة [2] أين الظافر ؟ قالوا : لا علم لنا . قال لهم : قتلتموه . فأرسل عن وجوه الناس والفقهاء والشيعة وقال لهم : ما جزاء من قتل ؟ قالوا : يقتل قال : فهؤلاء قتلوا الظافر وأخفوه . فضرب أعناقهم ، واستحوذ على القصر .

وكان في الصعيد [3] رجل تركي يعرف بكلكي [4] ، فسمع ما جرى . فعسكر وحشد ، وأقبل يريد مصر للعباس ، فسمع العباس خبره ، فأخذ جميع الأموال والذخائر وعياله وولده ، وخرج يريد الشام ليصير إلى حلب أو دمشق ، فيجند ويدعو لبني العباس ويخلع العبيدية من مصر ، فخرجت إليه العرب والروم من عسقلان ، فقاتلهم هو ومن معه ، فقتلوا عن آخرهم ، واستولى العرب والروم على تلك الأموال .

---

1) زيادة يقتضيها السياق .

2) ورد في تاريخ أسامة بن منقذ وفي وفيات الأعيان أن العباس انما اتهم بقتل الظافر أخويه يوسف وجبريل فقتلهما (تاريخ أسامة ص 16 - 18 على ما يذكر الدكتور حسن ابرهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص 186 ؛ ووفيات الأعيان 237/1 - 238 ؛ واتعاظ الحنفا للمقريزى 213/3 - 214) ؛ هذا وقد ذكر ابن القلانسي أن الظافر قتله أخواه يوسف وجبريل وابن عمهما صالح بن الحسن حقيقة ، ولكن ابن تغري بردي الذي يورد هذه الرواية يقول إن جمهور المؤرخين اتفقوا على أن قاتله نصر بن عباس (النجوم الزاهرة 291/5) .

3) فى الأصل : السعيد .

4) كذا فى الأصل ، ويبدو ذلك وهما من الناسخ ، فالمعروف أن والى الصعيد الذي استصرخ به نساء القصر اللاتي اتهمن العباس وابنه نصراً بقتل الظافر هو طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصالح الذي تكفل بالثأر من العباس وولى الوزارة حتى قتل أخيراً بدسيسة من صهره (زوج ابنته) الخليفة العاضد الذي كان آخر الخلفاء الفاطميين . وذلك فى رمضان سنة 556 (انظر في ترجمته النجوم الزاهرة 311/5 وما بعدها ؛ وفيات الأعيان 526/2 - 529 ابن الأثير : الكامل 44/9 ؛ الدكتور حسن إبراهيم : تاريخ ص 186 - 187) .

وجاء التركي فدخل مصر ، فوجدها مقفرة وقصورها خالية وأموالها فانية ، فقال : يا قوم ، بقى من أهل البيت – يعنى العبيدية – أحد ؟ قالوا : ما بقي إلا ولد للظافر من نحو خمسة أعوام . فأخرجه وأجلسه وسماه بالفائز بالله [1] ، وقام بحجابته ، وتلقب هو بالصالح .

وأما ولد العباس فحمل إلى بيت المقدس ، فاحتضنته أم الملك ، وكانت هي القائمة بالملك ، فصرفت الملك إليه – أعنى ولد العباس – وتنصر وأقام معها ، إلى أن شرب مع خاصة قوادها وقال لهم : أنتم رغاء الأمم ، تتبعون امرأة ذات فرج وتتركون من يملككم ديار مصر ؟ فنمى الخبر للملكة فأمرت بتثقيفه ، وخاطبت بني عبيد بأنها توجهه لهم ، فرفعوا لها فيه أربعين ديناراً مصريا ، وبعثته إليهم * في [81 ب] قفص من حديد ، فأدخلوه القصر فى القاهرة . وقرضوا لحمه بالمقاريض ، وحرقوه بالنار ، وذلك فى سنة سبع وأربعين وخمسمائة [2] .

فهذه أخبار مصر إلى هذه السنة ، وتعذر تقطيعها على السنين فأوردناها هكذا جملة .

وكان بالمهدية حسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز من عام أربعة عشر وخمسمائة كما تقدم .

* * *

1) هو أبو القاسم عيسى بن الخليفة الظافر أبي منصور إسماعيل بن الحافظ عبد المجيد ، ولد فى المحرم سنة 544 ، وولى الخلافة بعد مقتل أبيه الظافر فى المحرم سنة 549 ، وتوفى فى رجب سنة 555 ، عن إحدى عشرة سنة .

2) يتفق هذا الخبر فى جملته مع ما أورده ابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة (5/310 - 311) وإن كان ابن القطان قد انفرد ببعض التفاصيل الجديدة .

باب

ذكر أخبار سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة

أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى :

في هذه السنة تحرك سيدنا ومولانا الخليفة الإمام رضي الله تعالى عنه من مدينة تينملل شرفها الله تعالى . ونزل فى بلد بني ملول من منانة الفحص من حاحة ، فزحف تاشفين بن علي بن يوسف من مراكش بالعساكر ومعه الربرتير [1] ، فنزل بجيشه فى تاحكوط من حاحة ، وكانت منانة الجبل قد قتل علي بن يوسف أعيانهم ، فوحدوا ، ثم ارتدوا ، ثلاث مرات ؛ فأقام سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه في بني ملول شهراً وثلاثة أيام يضرب عليهم ويقتلهم قتلا ذريعا في وعرهم العظيم ، فلما اجتمعت الغنائم وما فى تلك الحومات من الحلى والثياب والزبيب والعسل والزيت والطعام والحنا وغير ذلك تحرك سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه إلى قبيلة بني وجدزان ، ثم إلى بني سوار من منانة الجبل ، وهم الذين قتل منهم [أبو] بكر بن علي بن يوسف أشياخهم وأعيانهم لأجل توحيدهم فى كاسطت من منانة .

ثم سار سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه من بني سوار إلى آجر فرجان ، فتبعه المجسم تاشفين ، وسد [2] له الطريق لئلا ينفذ إلى جبل مزورح حيث الطريق ، فرتب سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه العساكر ، ولحقت به الجيوش من مزورح وغيره بالدرق والرماح ، فكان القتال فى آجر فرجان ، فانهزم تاشفين ، وقتل أصحابه كل مقتل ، فضرب أخبيته وقاتل ،

1) في الأصل : اللبلتير .

2) في الأصل : وسد .